

أضواء البيان

@ 52 ذكر جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار يحشرون على وجوههم إلى جهنم يوم
 بالقيامة ، وأنهم شرّ مكانًا وأضلّ سبيلًا . وبيّن في مواضع أخر أنهم تكبّ وجوههم في
 النار ويسحبون على وجوههم فيها ؛ كقوله تعالى : { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْيَةِ فَكُيِّبَتْ
 وَجْهُهُمُ فِي النَّارِ } ، وقوله تعالى : { يَوْمَ تَقْلَبُ وَجْهُهُمْ فِي
 النَّارِ } ، وقوله تعالى : { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
 ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } ، وبيّن جلّ - وعلا في سورة (بني إسرائيل) أنهم يحشرون على
 وجوههم ، وزاد مع ذلك أنهم يحشرون عميًا وبكمًا وصمًا ، وذكر في سورة (طه) ، أن
 الكافر يحشر أعمى ، قال في سورة (بني إسرائيل) : { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى وَعُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
 كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } ، وقال في سورة (طه) : { وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *
 قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ
 آيَاتُنَا فَنَسَيْتَهَا . .

وقد بيّنا وجه الجمع في آية (بني إسرائيل) ، وآية (طه) المذكورتين مع الآيات
 الدالّة على أن الكفار يوم القيامة يبصرون ويتكلمون ويسمعون ؛ كقوله تعالى : {
 أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُ تَوَنَّدًا } ، وقوله تعالى : { رَبِّ سَدِّ
 أَبْصِرْ نَا وَسَمِعْ نَا فَارْجِعْ نَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنْ نَا مُوقِنُونَ } ، وقوله
 تعالى : { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنْ زَنَّهُمْ مَّوْاقِعُوهَا } ،
 في سورة (طه) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 أَعْمَى } ، وكذلك بيّنا أوجه الجمع بين الآيات المذكورة في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب
 عن آيات الكتاب) ، في الكلام على آية (بني إسرائيل) المذكورة . .

وصيغة التفضيل في قوله : { أُولَئِكَ شَرُّ مَكَّانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا } ، قد
 قدّمنا الكلام في مثلها في الكلام على قوله : { أَذَلِكَ خَيْرٌ * إِنْ جَنَسَتْ
 الْخُلُودِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ } ، والمكان محل الكينونة . والظاهر أنه يكون
 حسيًا ، ومعنويًا . فالحسي ظاهر ، والمعنوي ؛ كقوله تعالى : { قَالَُوا إِنْ يَسْرِقْ
 فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَّهَا يُوسُفُ فِي زَفْسِهِ وَلَمْ
 يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ } ، والسبيل الطريق وتذكر وتؤنث كما تقدّم ،

ومن تذكير السبيل قوله تعالى : { وَإِنْ يَرَوْا ءَاثِمَ سَبِيلِ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا ءَاثِمَ سَبِيلِ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } ، ومن تأنيثها قوله
تعالى : { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ } .